مشروعات السيطرة الغربية على العالم الإسلامي
قديما وحديثاً

(مجلة السودان للبحوث والدراسات الاستراتيجية. الخرطوم: العدد ١٠، السنة السابعة، مارس ٢٠١٨)

عبده مختار موسى

بروفيسر في العلوم السياسية

بجامعة امدرمان الإسلامية

drmukhtar60@gmail.com
https://orcid.org/0000-0002-5927-8344

مقدمـة:

لا شك أن إنهيار الإتحاد السوفيتي السابق في بداية تسعينات القرن العشرين وظهور النظام الدولي الجديد وما انبثق عنه من عولمة هي أخطر التحديات المعاصرة التي تواجه العالم الإسلامي. فمنذ مطلع تسعينات القرن العشرين أخذت موجة العداء للإسلام تتصاعد بتحريض إعلامي واضح تقف وراءه جهات اسرائيلية وغربية تحاول تأليب الرأي العام العالمي ضد الإسلام والمسلمين وبخاصة ما أُصطلح على تسميته بـ "الإسلام السياسي" "المتلازم مع حالة الصحوة الإسلامية واعتباره قوة مناهضة لمصالح الغرب، وبروز نسق ثقافي/سياسي ينظر إلى الإسلام على أنه الخطر القادم أو الخطر الجديد بعد الشيوعية الذي يجب على الغرب وضع سياسات لاحتوائه وتطويقه وتحجيم قواه الفاعلة وكبت انطلاقته المتسارعة وتقليص فرصة وصوله إلى الحكم."[١]

يمكن حصر أهم التحديات السياسية التي تواجه حاضر وواقع العالم الإسلامي في مواجهة الغرب في الآتي:

١. الاستشراق.
٢. الحروب الصليبية
٣. الاستعمار
٤. العلمانية
٥. العولمة

هذا مع ملاحظة أن هذه التحديات قديمة متجددة، وهي متصلة اتصال تاريخي موضوعي، وبالتالي لا يمكن عزلها أو النظر للتحديات المعاصرة بمعزل عن تلك المنطلقات والخلفيات. لذلك لا يتسق دراسة وتحليل الواقع السياسي الراهن للعالم الإسلامي – حاضره وتحدياته – دون استقصاء تلك الخلفيات.

أولاً: الاستشراق:

يعني تعلم علوم الشرق ونقل الشرق (بعلومه وثقافته وفلسفته وحضارته) إلى الغرب خاصة بعد الفتوحات الإسلامية والتي وصلت إلى الغرب وانتقلت حضارة المسلمين وعلومهم إلى الغرب في جامعات قرطبة وطليطلة وصقلية وغيرها من جزر البحر الأبيض المتوسط الذي صار بحيرة إسلامية.

ثم تأكد الاستشراق وتوسع مع الحروب الصليبية، ثم زاد خطره وتحدد هدفه بعد الحروب الصليبية كبديل لهذه الحروب مع شقيقه التبشير. وقد مرّ الاستشراق بثلاث مراحل هي: أ/ مرحلة **الاستكشاف** التي تحرك فيها رجال الكنيسة والرهبان بصورة فردية لجمع معلومات عن ذلك الدين الجديد الذي بدأ يغزو العقل الأوروبي؛ ب/ مرحلة **التبشير** (التنصير) التي استفادت من الحروب الصليبية؛ ثم، ج/ مرحلة **العدوان المباشر** بعد فشل الحروب الصليبية وارتبط بهذه المرحلة الاستعمار.[٢] وللإستشراق جوانب ودوافع كثيرة – دينية، فكرية، ثقافية، تجارية ونحو ذلك. وللاستشراق دوافع قديمة متجددة لكن ما يهم هذه الدراسة هو الدوافع السياسية خاصة البعد الاستعماري.

يرى البعض أن الاستشراق في البداية لم تربطه بالنظرية الاستعمارية أي روابط وإنما كان محكوما فقط بالنوازع الدينية والعلمية. فالكنيسة ومؤسساتها المختلفة هي الوعاء للاستشراق في هذه المرحلة، وحين اجتاح الفكر الاستعماري أوروبا انطلاقا من بعض النظريات العرقية التي قادها رينان [٣] وأضرابه، وحينما تطلعت الدول الأوروبية إلى استعمار العالم الشرقي احتاج هؤلاء إلى الكثير من المعلومات التي تساعدهم في تحقيق تطلعاتهم الاستعمارية. وقد وجدوا في المستشرقين قوالب جاهزة ذات علاقة قوية بالشرق، وعلى دراية كافية بالكثير من المعلومات التي تمهد لحركة الاستعمار. ومن هنا تم التلاحم بين الاستشراق والاستعمار. ودخل المستشرقون في مرحلة جديدة هي الاستعمار.[٤]

(أ) الأسس النظرية للاستشراق:

هنالك مجموعة من القواعد والمسلمات شكلت الأسس النظرية للدراسات الاستشراقية منها:[٥]

١. الانطلاق من المسيحية الأوربية كمعيار لتقويم الأديان الأخرى.
٢. الانطلاق من نظرة عرقية تبسيطية تختزل الإنسانية في عنصرين (نحن) و (هم) – قُسِّم العالم إلى أجناس راقية (آرية) وأخرى سامية، ونحو ذلك..
٣. تقسيم المجتمعات الشرقية طبقا لمعايير متناقضة طرحتها الخبرات الأوربية المتلاحقة (بين مسيحية وعلمانية – كلها تنقد الإسلام).

٤. اعتبار الخبرة الأوربية نموذجاً معياريا للتطور البشري.
٥. التبسيط المبالغ فيه والمتناقض في النظر إلى الشرق.

(ب) على الرغم من تعدد الدراسات الاستشراقية إلا أن هناك **قواعد منهجية** عامة تمثل خيطاً يربط هذه الدراسات، منها:[5]

١. المبالغة في الشك (التشكيك في القرآن والسنة).
٢. اسقاط الرؤية الوضعية العلمانية على الوقائع التاريخية الإسلامية. فالمستشرق إما أن يكون يهوديا أو نصرانياً لا يؤمن بصدق الرسالة التي أعقبت النصرانية، أو علماني و (وضعي) يرفض كل ما هو روحي أوغيبي على أساس أنه خيالي وخرافي ولا علمي.
٣. إخضاع التراث الإسلامي للتفسير المادي للتاريخ: حيث دُرِس الاسلام بمقولات ومفاهيم مادية التي ضخمت العامل الاقتصادي في التاريخ باعتباره القاعدة الأساسية لأي تحول حتى لو كان دينيا أو أخلاقياً.
٤. دراسة الإسلام كخبرة تاريخية منقطعة عن المصدر الإلهي. وقد أسقط المستشرقون البعد الغيبي عن الإسلام وتعاملوا مع الإسلام كدين من خلق البشر.
٥. أدوات جمع المعلومات: اعتمد المشتشرقون على وسائل لا ترقى لمستوى الأداة المنهجية التي تضمن الوصول للمعلومات الصحيحة حيث اعتمدوا على الرحالة والمبشرين الذين اختلقوا قصصا خيالية عن الإسلام والمسلمين لتشويه الدين.

وقد ساعد الاستشراق الحركة الاستعمارية بعدة أشكال وصور:

١. ساعد تنقل المستشرقين في بلدان العالم الشرقي، وما نتج عن هذه الرحلات من مؤلفات في إعطاء صورة واضحة لصناع القرار الغربي في اختيار الأمكنة الملائمة لتوحيد جيوشهم، وفي توزيع رقعة العالم الشرقي بينهم.
٢. قدم بعض المستشرقين خدمات مباشرة للحركة الاستعمارية، فقد كُلِّف الكثير منهم بمهام محددة مثل ما قام به بعضهم من دراسات تحت رعاية شركة الهند الشرقية التي لا يخفى على أحد دورها الاستعماري في شبه القارة الهندية، وكذلك ما قام به الكثيرون في بداية حركة الاستشراق. وقد اعترف أحد المستشرقين صراحة بخدمة المصالح الاستعمارية وهو المستشرق الاسباني بيدور مارتينت مونتافيت حيث قال في حوار أُجري معه "... أن معظم المستشرقين الغربيين كان مرتبطا بشكل ما مع النفوذ الاستعماري الغربي في المنطقة وعلينا أن نعترف بهذا فنحن نتكلم عن التاريخ وليس عن أشياء خيالية أو بعيدة عن الحقيقة."[6]
٣. هناك نوع من المستشرقين عمل ضباطا في الجيوش الأوروبية، فهؤلاء جمعوا إلى جانب عملهم الأكاديمي عملاً استعمارياً هو الذي من خلاله تأكد وجود الدافع الاستعماري وراء

حركة الاستشراق، ومن هؤلاء السير جون مالكولم برتبة مقدم، وفيلوت وهو برتبة عقيد وهما من الإنجليز، والكونت دي كاستري الفرنسي وهو برتبة مقدم، والضابط المستشرق المشهور ليفي بروفنسال.

٤. هناك نوع من الدراسات ركزت على ما يُسمى بالفرق الإسلامية والتي شغلت حيزا كبيراً من نشاط المستشرقين، ولم يكن لها بالمقابل أية دراسة تستهدف البحث في الاسلام الموحد الذي جسده عصر الرسول (ص).

وللاستشراق دوافعه السياسية التي تتمثل في أولئك المستشرقين العاملين في مختلف السفارات والهيئات الدبلوماسية الغربية ذات العلاقة بالعالم الشرقي، وهؤلاء، بطبيعة الحال، يتكلمون اللغات الشرقية ويعرفون لهجاتها ، ولهم دراية بالتركيبة السكانية للمنطقة، فهم يمارسون إلى جانب كونهم مستشرقين دوراً سياسياً يتمثل في ربط سياسات العالم الغربي بدول الشرق، وكمثال على ذلك المستشرق جون بادو الذي عمل سفيراً لأمريكا في القاهرة، وبرتشرد الإنجليزي الذي عمل قنصلاً في تونس، والفرنسي يونيون الذي عمل قنصلاً في حلب، الأسباني جونثالث الذي عمل قنصلاً في الجزائر، والهولندي دينجماس الذي عمل سفيراً في الباكستان والإيطالي فيتو الذي عمل قنصلاً في بيروت، وغيرهم.[7]

ثانياً: الحروب الصليبية:

جاءت الحروب الصليبية (حروب الفرنجة) كرد فعل من الغرب على الفتح العربي الإسلامي في القرن الثامن الميلادي الذي اخترق قلب أوروبا وسيطر خلاله المسلمون على شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وقد بدأ بسيطرة الفرنجة على القدس عام ١٠٩٩م وانتهت باسترجاع عكا، آخر معقل للفرنجة، عام ١٢٩١م حيث انتهت باختلال ميزان القوى لصالح العرب على الصعيد العسكري بالإضافة إلى المستويات الأخرى للحضارة.[8]

الحملات الصليبية أو الحروب الصليبية بصفة عامة اسم يُطلق حالياً على مجموعة من الحملات والحروب التي قام بها أوروبيون في أواخر القرن الحادي عشر إلى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر (١٠٩٦ – ١٢٩١)، كانت بشكل رئيسي حروب فرسان، وأُسميت بهذا الاسم لأن الذين اشتركوا فيها تواروا تحت رداء الدين المسيحي وشعار الصليب من أجل الدفاع عنه وذلك لهدفهم الرئيسي وهو الاستيلاء على أرض المشرق في الوقت الذي كان فيه الشرق منبع الثورات ولذلك كانوا يخيطون على ألبستهم على الصدر والكتف علامة الصليب من قماش أحمر. وكانت الحملات الصليبية السبب الرئيسي في سقوط البيزنطيين بسبب الدمارالذي كانت تخلفه الحملات الأولى المارة في بيزنطة (مدينة القسطنطينية) عاصمة الامبراطورية البيزنطية وتحول حملات لاحقة نحوها.[9]

كانت الحروب الصليبية سلسلة من الصراعات العسكرية من الطابع الديني الذي خاضه الكثير من أوروبا المسيحية ضد التهديدات الخارجية والداخلية. وقد خاض الحروب الصليبية ضد المسلمين، وثنية من السلاف، والمسيحية الروسية والأرثوذكسية اليونانية، والمغول، والأعداء السياسيين للباباوات. كان الهدف الرئيس للحروب الصليبية استرداد القدس والأراضي المقدسة من المسلمين، وكنت القاعدة التي انطلقت في الأصل استجابة لدعوة من الامبراطورية البيزنطية الأرثوذكسية الشرقية للمساعدة في توسيع نفوذهم ضد المسلمين سلاجقة الأناضول. لم تكن الحملات الصليبية موجهة لمحاربة الإسلام والمسلمين فقط إذ كان هدفها في البداية أيضاً محاربة البابا لمخالفيه، فقد جاء الصليبيون من شمال فرنسا إلى جنوبها لكي يقاتلوا الهراطقة الألبيجيين بين عامي ١٢٠٩ و ١٢٢٩. وفي القرن الرابع عشر حدثت أكثر من ٥٠ حملة ضد البروسيين الهادينشيين في ألمانيا، وفي القرن الخامس عشر حدثت ٤ حملات صليبية ضد الهوسيين التشيكيين، ومن ١٤٤٣ إلى ١٤٤٤ حدثت حملة صليبية ضد الامبراطورية العثمانية. كذلك كانت هناك حملة صليبية على الاسكندرية بين عامي ١٣٦٥ ١٣٦٩ بقيادة الملك بطرس الأول ملك قبرص.[10]

كان للحملات الصليبية تأثير كبير على أوروبا في العصور الوسطى، في وقت كان السواد الأعظم من القارة موحداً تحت راية البابوية القوية، ولكن بحلول القرن الرابع عشر الميلادي، تفتت المبدأ القديم للمسيحية، وبدأ تطور البيروقراطيات المركزية التي شكلت فيما بعد شكل الدولة القومية الحديثة في انجلترا وفرنسا وألمانيا وغيرها. كان تأثر الأوروبيين بالحضارة العربية الإسلامية كبيراً في فترة الحروب الصليبية. ولكن يرى العديد من المؤرخين أن التأثير الأعظم وانتقال المعارف الطبية والمعمارية والعلمية الأخرى كان قد حدث في مناطق التبادل الثقافي والتجاري التي كانت في حالة سلام مع الولايات الإسلامية، مثل الدولة النورمانية في جنوب إيطاليا ومناطق التداخل العربي/الإسلامي مع أوروبا في الأندلس ومدن الازدهار التجاري في حوض المتوسط كالبندقية وجنوة والاسكندرية.[11]

غير أنه بحلول القرن الثالث عشر الميلادي بدأت تتبلور بذور النهضة في الغرب إن كان على المستوى الثقافي أو مستوى بناء الدولة، بينما استمر العرب تحت السيطرة العسكرية المملوكية، وعندما ورث العثمانيون السلطة على الرغم من تفوقهم العسكري لم يبلوروا سلطة، ومؤسسات سياسية وقانونية وشكلاً مناسباً للمشاركة الشعبية، أو يخلقوا إطاراً للتقدم الذهني والتقني ليجاروا ما كان يجري على الجبهة الأوروبية.

ترى الشعوب التي تم السيطرة عليها من قبل الصليبيين أثناء الحروب الصليبية على أنها كانت شكل استعماري وفترة قمع وتأخر، ويرى المسلمون في شخصيات صلاح الدين الأيوبي والظاهر بيبرس أبطالاً محررين. وكذلك يرى الأوروبيون الشخصيات المشاركة في الحروب

الصليبية أبطالاً مغامرين محاطين بهالة من القداسة ، فيعتبر لويس التاسع قديسا ويمثل صورة المؤمن الخالص في فرنسا. ويعتبر ريتشارد قلب الأسد ملك صليبي نموذجي.

كما يُنظر إلى مسمى حروب صليبية في عديد من الثقافات الغربية نظرة إيجابية على أنه حملة من أجل الخير أو لهدف سامي ويُعمم المصطلح أحياناً ليتخطى الإطار الديني، فقد ترد عبارات مثل "بدأ حملة صليبية لإطعام الجياع"، كما أُستخدم المصطلح من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش (الإبن) لوصف ما أسماه "الحرب على الإرهاب في ١٦ سبتمبر ٢٠٠١" عقب أحداث هجوم القاعدة على نيويورك في ١١ سبتمبر ٢٠٠١، أي أن هذه الحملة الصليبية، هذه الحرب على الإرهاب سيستلزمها وقت.[12]

ثالثاً: الاستعمار:

الاستعمار (أو الكولونيالية Colonialism) هو مصطلح يشير إلى ظاهرة سياسية، اجتماعية وثقافية تشمل إقامة مستوطنات أوروبية خارج أوروبا منذ القرن الخامس عشر واستيلاء الدول الأوروبية سياسياً واقتصاديا على مناطق واسعة في جميع القارات الأخرى، بما في ذلك اخضاع الشعوب القاطنة فيها لحكم الدول الأوروبية واستغلال مواردها الطبيعية وعمل السكان المحليين لصالح الدول الأوروبية.[13] والاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهي بالتالي نهب وسلب منظم لثروات البلاد المستعمَرة فضلاً عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي (كما حدث في احتلال أمريكا للعراق بعد صدام حسين (٢٠٠٣– ٢٠٠٩) وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمَرة إلى مرحلة الحضارة وانطوى ذلك على إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجتمع المستعمرات لجعلها أكثر ارتباطاً بالدولة المستعمِرة.[14] وقد اتخذ الاستعمار عدة ذرائع للسيطرة على تلك البلاد – بما فيها الأفريقية والعربية والإسلامية – منها تمدين الشعوب غير الأوروبية، وتأمين طرق المواصلات وحرية التجارة والشرعية الدولية.

وارتبطت ظاهرة الاستعمار بالنهضة الأوروبية وعصر الاستكشاف وتعزز السلطات المركزية في كل من البرتغال واسبانيا وبريطانيا وفرنسا وبعض الممالك الإيطالية، حيث شهدت أوروبا نهاية القرون الوسطى تطورات تكنولوجية سريعة خاصة في مجال الملاحة وحيث تمكنت السلطات المركزية الأكثر استقرارا من تمويل مشاريع طموحة تشمل إرسال بعثات من الملاحين والجنود والمستوطنين إلى مواقع بعيدة عن بلادهم الأصلية. وللحصول على المواد الخام أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر إلى حاجة الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها صناعتها الجديدة.[15]

وهناك عدة **أنواع** أو أشكال للاستعمار مثل:

أ/ الاستعمار الاستيطاني: انشاء مستعمرات – محطات تجارية أو تجمعات سكانية مأهولة بمواطني دولة معينة خارج أراضي هذه الدولة.
ب/ الاستعمار الاستغلالي (أو الامبريالي) بوسائل اقتصادية أو عسكرية أو سياسية.
ج/ الاستعمار الجديد: السيطرة غير المباشرة على دول معينة بأدوات اقتصادية أو ثقافية أو سياسية.

ومن أمثلة الاحتلال العسكري المباشر: الاستيطان الصهيوني في فلسطين، والاستيطان الهولندي في جنوب أفريقيا (منذ عام ١٦٥٢) ، والاستيطان البريطاني فيها منذ ١٨٢٣ وحتى نهاية ثمانينات القرن العشرين.

وقد انحسرت الظاهرة الاستعمارية بشكلها المباشر منذ النصف الثاني من القرن العشرين ولم يبقى إلا في مناطق محدودة مثل فلسطين والوجود الأمريكي في العراق (٢٠٠٣ – ٢٠٠٩)، والتدخل الأمريكي في الصومال في النصف الأول من تسعينات القرن العشرين، والتدخل الأمريكي في أفغانستان بين خواتيم القرن العشرين وفواتيح الألفية الثالثة.[16]

الأهداف السياسية للاستعمار:

تتمثل في تحسين مركز الدولة الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على هيكل القوة الدولي لتوسيع دائرة نفوذها في المجتمع الدولي، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارات الدولية وتوجيهها لصالحها. ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام ١٨٨٤ مؤشراً على ذلك، فقد عُقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ. ويفسر العالم الأمريكي هانس مورجانثو الامبريالية بأنها "تستهدف قلب الوضع القائم والقيام بمراجعة علاقات القوى بين دولتين أو أكثر من أجل تحقيق تفوق محلي أو إقامة امبراطورية قارية أو تحقيق هيمنة عالمية. ويرى أن الدول كالأفراد لديها "شهوة القوة" أي الرغبة في تحسين وضعها باستمرار، من غير الاقتناع بالوضع القائم.[17]

ولكي تتمكن الدول الاستعمارية من تعزيز مركزها الدولي في إطار هذا التنافس لا بد لها من زيادة مواردها، وهو أمر يستدعي البحث عو موارد خارج حدودها، فقامت هذه الدول بتمويل بعثات الاستكشاف الجغرافية. وتنافست كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا على معظم دول العالم الثالث.

ويكاد الوطن العربي يمثل أبرز مثال على الموقع الاستراتيجي والتنافس في السيطرة عليه فقد تنافست الدول الأوروبية على الوطن العربي وما زالت إذ أن السيطرة عليه تعني التحكم في شبكة المواصلات التي تربط القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا، تنافست بريطانيا وفرنسا على مصر، وعلى نهر النيل، واشتد التنافس بعد حفر قناة السويس، وقسمت الدول الأوروبية الوطن العربي إلى مناطق نفوذ في مراحل مختلفة: فكانت فرنسا في سوريا ولبنان والمغرب

العربي وجيبوتي، واستولت إيطاليا على ليبيا، واستولت بريطانيا على فلسطين والأردن والعراق ومصر والسودان ومناطق من اليمن، وخضعت بعض مناطق المغرب العربي للاستعمار الأسباني.

وقد كان للاستعمار أثر كبير على الدول العربية وقد مزق الأمة الإسلامية بتوزيعها على عدة دويلات، وبذر الفتن بينها، وأقام حدود مصطنعة وحواجز وهمية. وأثر على مركز الخلافة في تركيا وزرع ودعم التيار العلماني. وما زال حتى اليوم يزرع الفتن بين نخب الأمة الإسلامية والعربية، ويدعم تلامذة المستشرقين في العالم العربي والإسلامي ويصنف الإسلام بمصطلحات هدف منها المزيد من التشتت خلق بلبلة فكرية لإضعاف تماسك الأمة، ومن أمثلة ذلك أخذ الخطاب السياسي الغربي والإعلام الدولي يردد مسميات مختلفة للإسلام في العصر الحديث مثل وصفه لبعض الدول بأنها معتدلة (مثل مصر والسعودية) ووصف الإسلام في تركيا بأنه "علماني" وفي إيران بأنه ثوري وراديكالي، ووصف حركات التيار الإسلامي الحديث بأنه إسلام سياسي وأنه متشدد ومتطرف إرهابي مثل تعامله مع الإسلام في أفغانستان والجماعات الإسلامية في مصر والسودان وتونس واليمن، حزب الله في لبنان وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) في فلسطين وما شاكل ذلك.

ويكمن التحدي في العالم الإسلامي اليوم في كيفية مقاومة هذا الخطاب والقضاء عليه خاصة وأن وسائل الإعلام في الدول العربية والإسلامية دأبت على ترديد مفرداته وسوقت لمصطلحاته دون وعي. ينبغي على قادة الإعلام والرأي والنخب في العالم الإسلامي أن تتصدى بوعي لهذا الخطاب الاستعماري الذي يهدف إلى غزو الأمة المسلمة في شكل حديث للاستعمار.

رابعاً: العلمانية: (Secularism)

تعني فصل الدين عن الدولة وعزل كل المعتقدات عن السياسة والحياة العامة، وعدم إجبار الكل على اعتناق أو تبنى معتقد أو دين أو تقليد معين لأسباب ذاتية غير موضوعية. ويرى البعض أن الترجمة الصحيحة للكلمة هي "اللادينية" أو "الدنيوية". ومن الخطأ ربطها بالعلم (science) والمذهب العلمي (scienticism) والنسبة إلى علم (scientific) أو (scientifique) في الفرنسية.[18] إن العلمانية (السكيولرزم) بحسب دائرة المعارف الأمريكية نظام في السلوك مؤسس على مبادئ أخلاقية مستمدة من الطبيعة ومستقلة عن الدين.[19] وجاء في الموسوعة البريطانية الجديدة "العلمانية حركة اجتماعية هدفت إلى صرف الناس بعيداً عن العالم الأخروي المأمول وتوجيههم إلى هذا العالم الدنيوي المشهود."[20]

ويقول المعجم الثالث الجديد أن العلمانية "اتجاه في الحياة أو في شأن خاص، ويقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة، أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعاداً مقصوداً، فهي تعني مثلا السياسة اللادينية البحتة في الحكومة. وهي نظام اجتماعي في الأخلاق، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين."[21]

على المستوى السياسي تطالب العلمانية بحرية الاعتقاد وتحرير المعتقدات الدينية من تدخل الحكومات والأنظمة وذلك بفصل الدولة عن أية اعتقادات دينية أو غيبية، وحصر دور الدولة في الأمور المادية فقط. لقد أُستخدم مصطلح "Secular" لأول مرة في مع توقيع صلح ويستفاليا الذي أنهى أتون الحروب الدينية المندلعة في أوروبا في عام ١٦٤٨م، وبداية ظهور الدولة القومية الحديثة (أي الدولة العلمانية) مشيرا إلى "علمنة" ممتلكات الكنيسة بمعنى نقلها إلى سلطات غير دينية – أي لسلطة الدولة المدنية. [22]

والحركة العلمانية في الحالات القصوى من آيديولوجيا العلمانية تذهب إلى أن الدين ليس له مكان في الحياة العامة. فالعلمانية تشجع المدنية والمواطنة وترفض الدين كمرجع رئيس للحياة السياسية ويمكن اعتبارها مذهب يتجه غلى أن الامور الحياتية للبشر، وخصوصاً الحياة السياسية منها، يجب أن تكون مرتكزة على ما هو مادي ملموس وليس على ما هو غيبي. ترى أن الأمور الحياتية يجب أن تتحرر من النفوذ الديني، ولا تعطي ميزات لدين معين على غيره، على العكس من المرجعيات الدينية تعتمد على ما تعتقده حقائق مطلقة أو قوانين إلهية لا يجوز التشكيك في صحتها أو مخالفتها مهما كان الأمر، وتُفسر العلمانية من الناحية الفلسفية أن الحياة تستمر بشكل أفضل ومن الممكن الاستمتاع بها بإيجابية عندما نستثنى الدين والمعتقدات الإلهية منها.[23]

هذا يعني بوضوح أن العلمانية لا تعترف بأي دين، ولا تعترف بأن للدين أثر في الحياة العامة وتجرد الأديان من أية فائدة دنيوية. وبهذا الفهم تصبح هذه الآيديولوجيا أكبر مهدد للدين وتشكل تحديا، ليس خارجياً، بل أيضا داخليا للإسلام والمجتمع المسلم لأن هناك الكثير من التيارات والعناصر داخل العالم العربي والإسلامي التي تؤمن بهذه الأيديولوجيا وتدافع عنها. بل الأعراب أنهم يجعلون التقدم والحداثة صنو للعلمانية وأن الدين هو ملازم للجمود والتخلف والرجعية.

عوامل أنتقال العلمانية وأدواتها:[24]

هناك عدة عوامل ساعدت على انتقال العلمانية إلى الدول الإسلامية منها:

١/ مواكبة العلمانية لنهضة أوروبا؛ ٢/ تخلف المنطقة الإسلامية؛ ٣/ الاستعمار (الاحتلال) العسكري؛ ٤/ الهزيمة النفسية التي عانى منها العالم العربي والإسلامي؛ ٥/ الغزو الفكري.
ومن أدوات انتشار العلمانية ووسائلها: ١/ المستشرقون؛ ٢/ المبشرون؛ و ٣/ تلاميذ المستشرقين.

وقد مرت **العلمانية بثلاث مراحل** أساسية:[25]

١. مرحلة التحديث: اتسمت هذه المرحلة بسيطرة الفكر النفعي على جوانب الحياة بصورة عامة. فقد كانت الزيادة المطردة من الانتاج هي الهدف النهائي من الوجود في الكون، لذلك ظهرت الدولة القومية العلمانية في الداخل والاستعمار الأوروبي في الخارج لضمان تحقيق هذه الزيادة الانتاجية واستندت هذه المرحلة إلى رؤية فلسفية تؤمن بشكل مطلق بالمادية وتتبنى العلم والتكنولوجيا المنفصلين عن القيم. وانعكس ذلك على توليد نظريات أخلاقية ومادية تدعو بشكل ما لتنميط الحياة وتآكل المؤسسات الوسيطة مثل الأسرة.
٢. مرحلة الحداثة: هي مرحلة انتقالية قصيرة استمرت فيها سيادة الفكر النفعي مع تزايد وتعمق آثاره على كافة أصعدة الحياة فقد واجهت الدولة القومية تحديات بظهور النزعات العرقية، وكذلك أصبحت حركيات السوق الخالية من القيم تهدد سيادة الدولة القومية واستبدل الاستعمار العسكري بأشكال أخرى من الاستعمار السياسي والاقتصادي والثقافي، واتجه السلوك العام نحو الاستهلاكية الشرهة.
٣. مرحلة ما بعد الحداثة: في هذه المرحلة أصبح الاستهلاك هو الهدف النهائي من الوجود ومحرك اللذة الخاصة، واتسعت معدلات العولمة لتتضخم مؤسسات الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات غير الحكومية الدولية وثورة المعلومات وحلت مفاهيم جديدة بدل الأسرة وغياب الثوابت والمعايير الحاكمة لأخلاقيات المجتمع والتطور التكنولوجي الذي يتيح مجالات لم تكن موجودة من قبل مثل الهندسة الوراثية والاستنساخ.

العلمانية في الدول الإسلامية:

أثار مصطلح العلمانية جدلاً واسعا في الدول العربية والإسلامية. فالمفكر محمد عابد الجابري يرفض تعريف العلمانية باعتباره فقط فصل الكنيسة عن الدولة، لعدم ملاءمته للواقع العربي الإسلامي، ويرى استبداله بفكرة الديمقراطية "حفظ حقوق الأفراد والجماعات"، والعقلانية "الممارسة السياسية الرشيدة". في حين يرى د. وجيد عبد المجيد (باحث مصري) أن العلمانية – في الغرب – ليست أيديولوجية (منهج عمل) وإنما مجرد موقف جزئي يتعلق بالمجالات غير المرتبطة بالشؤون الدينية. ويميز د. وحيد بين "العلمانية اللادينية" التي تنفي الدين لصالح سلطان العقل، وبين "العلمانية" التي نحت منحى وسيطاً، حيث فصلت بين مؤسسات الكنيسة ومؤسسات الدولة مع الحفاظ على حرية الكنائس والمؤسسات الدينية.[26]

ارتبط مصطلح العلمانية في بعض المجتمعات العربية والإسلامية بـ (الكفر) و (الإلحاد) و (الزندقة). وهذا يرجع إلى طبيعة المجتمع الذي يعتنق الإسلام وطبيعة الإسلام كدين له خصوصيته. ومن أهم الأسباب التي خلقت التلازم بين الإلحاد والعلمانية عدم احترام قيم الشعب وازدراءها من النخب العلمانية في الدول العربية والإسلامية.

وارتبطت العلمانية في دولة كالسودان بالشيوعية التي ارتبطت بدورها بالكفر.. واستغلت جماعات الإسلام السياسي ذلك وطردت أعضاء الحزب الشيوعي السوداني من البرلمان. ولم يُسمح لهم بالعودة رغم حكم المحكمة لصالحهم ببطلان طردهم من البرلمان. فدخلت البلاد في أزمة صراع ما بين الإسلام والعلمانية وكانت من نتاج ذلك إنقلاب عسكري على الديمقراطية قاده مجموعة الضباط الأحرار – المحسوبين على اليسار– بقيادة العقيد جعفر محمد نميري في عام ١٩٦٩. ولكنه لم يستطع الاستمرار في الاتجاه العلماني اليساري في مجتمع إسلامي شديد التدين فاستجاب للضغوط والاتجاه الديني السائد في السودان فأعلن تطبيق الشريعة الإسلامية في سبتمبر ١٩٨٣م.

أكدت ثورة الإنقاذ الوطني (جاءت للسلطة عام ١٩٨٩) ذات الاتجاه في تطبيق الشريعة الإسلامية وبصورة أكثر شمولا ومنهجية. وقد شكلت العلمانية أطروحة أساسية في مواقف الحركة الشعبية لتحرير السودان – بقيادة جون قرنق – في مفاوضاتها مع الحكومة السودانية، بل كانت النقطة الأكثر إثارة للجدل في القضايا الخلافية بين الطرفين التي أدت إلى تأخير السلام من مطلع التسعينات من القرن العشرين إلى عام ٢٠٠٥م.

خامساً: العولمة:

يمكن اعتبار العولمة احدى أدوات السيطرة الغربية للعالم الإسلامي، على الرغم من أنها موجهة لكل العالم لكنها في سياق صراع الحضارات الذي أشار إليه مفكرو ومنظرو العولمة تصبح العولمة إحدى أبرز تحديات العالم الإسلامي في العصر الحديث، مثلها مثل الحداثة والعلمانية.

١. خلفيات الظاهرة:

منذ أن ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي كإنقلاب حضاري جديد في تاريخ البشرية أصبح مستهدفاً من قِبل الحضارات الأخرى لا سيما الغربية التي حاولتْ أن تنال منه عبر الحقب التاريخية المختلفة، وبمختلف الوسائل. فمن تحدي الفلاسفة الغربيين والباطنية، إلى حركة الإستشراق التي حاولت تشويه التراث الثقافي الإسلامي ونقل الإسلام مشوهاً إلى الغرب ونقل هذه الصورة المشوهة للمسلمين أنفسهم، إلى الحروب الصليبية، إلى تحدي الماركسية

والملاحدة، وإلى فوكاياما وهنتجتون والعولمة كلها حلقات متصلة من مهددات الهوية الإسلامية. ولم تكن الهوية الاسلامية يوماً عبر التاريخ في مأمن من المهددات والتحديات الداخلية والخارجية.

ولا شك أن إنهيار الإتحاد السوفيتي السابق في بداية تسعينات القرن العشرين أصبح النظام الدولي الجديد وما انبثق عنه من عولمة هي أخطر التحديات المعاصرة التي تواجه الهوية الإسلامية. ففي مطلع التسعينات نشر فرانسيس فوكاياما مقالته التي اعتبر فيها أن الديمقراطية الليبرالية قد انتصرت، وأن هذا الانتصار يشكل نهاية التاريخ. ثم جاء صمويل هنتجتون بنظرية "صراع الحضارات" والتي فحواها أن النظام العالمي الجديد (نظام ما بعد الحرب الباردة) يقوم على صراع ثماني حضارات: الحضارة الغربية، واليابانية، والكونفوشيوسية، والهندوكية والأمريكية اللاتينية، والأرثوذكسية السلافية والحضارة الإسلامية، إضافة إلى الحضارة الإفريقية.[27] ويخشى هنتجتون أن يتغير ميزان القوى لغير مصلحة الغرب – ليس المصالح المادية فحسب بل قيمه وثقافته أيضاً. ويبرر هنتجتون مخاوفه هذه أن العداء للغرب يجمع بين الإسلام والكونفوشيوسية الأمر الذي يشكل خطراً للحضارة الغربية ولقيمها الإنسانية.[28] لذلك دعا هنتجتون إلى وحدة الحضارة الغربية أولاً في وجه الخطر الإسلامي. ومن هنا بدأت حرباً جديداً ضد الهوية الإسلامية. لذلك قبل أن نفحص آليات العولمة وأسلحتها في محاربة الإسلام وضرب هويته، ينبغي أن نقف عند مفهوم العولمة.

٢. مفهوم العولمة:

هناك من يرى أن العولمة هي مفهوم جديد لواقع قديم ظهر في الستينات من القرن العشرين عندما لاحظ مارشال ماكلوهان في تغطية التلفزيون لحرب فيتنام أن الشاشة الصغيرة حولت المواطنين من مجرد مشاهدين إلى مشاركين في اللعبة وأن العالم أصبح قرية صغيرة. ويرى ماكلوهان أن الإعلام الإلكتروني في وقت السلم يجعل من التقنية محركاً للتغير الاجتماعي. ثم أزداد رواج العولمة في الثمانينات وتبلور في التسعينات مع نهاية الحرب الباردة وظهور مفهوم النظام العالمي الجديد. لكن تمتد هذه الظاهرة إلى عصر النهضة الأوربية عندما بدأت القوى الأوربية تنشر نفوذها خارج القارة القديمة. [29]

وهناك من يرى أن العولمة فكر مدروس تم إيجاده بعد دراسات مستفيضة قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية ، وتم خلق المؤسسات اللازمة لإدارته ومنها الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي . وأصبحت عملية إستلاب الشعوب الأخرى وخيراتها تتم عبر العولمة وأدواتها

كالشركات عبر القطرية المتعددة الجنسيات ، ويديرها أرباب المال العالمي عن بعد (الريموت كنترول) ، حيث مكنت العلوم الإدارية والاتصالات الحديثة من ذلك ، فأصبح نظام العولمة أشد ضراوة ونهباً من الاستعمار القديم ولكن بطرق جديدة غاية في الذكاء والدهاء.[30]

قد ظهر أدب كثيف في تعريف مفهوم العولمة بعضها يركز على هذا الجانب أو ذاك من هذه العملية المتعددة الأبعاد . ولكن بما أن الظاهرة تتبدى أكثر في جانب المال والإعلام والثقافة فقد تم إختزال ظاهرة العولمة في أنها (عملية تنميط الأسواق والأذواق).

ولاحظ بعض الباحثين أن أهم دعامتين للعولمة هما المال والإعلام . لذلك تم دمج الكلمتين في مصطلح جديد هو المعلومالية (Info-financial) . وعلى الرغم من كثافة الأدب حول المفهوم إلا أن علماء الإجتماع قد تناولوا الظاهرة بعمق أكبر غطى كل أبعاد الظاهرة وذلك مثل البروفسير مالكولم ووترز (Malcolm Waters) أستاذ علم الإجتماع بجامعة تسمانيا بأستراليا ، وبارسونس (Parsons) ، وليفى (Levy) . كما تناول بعض علماء الاقتصاد العولمة بالتحليل مثل كير (Kerr) ودنلوب (Dunlop) وهاربسون (Harbison) وميرز (Myers) .
وعلى الرغم من أن كلمة "عالمي" – أو بتحديد أكثر دقة – "كوني" (Global) عمرها أكثر من ٤٠٠ سنة ، إلا أن إستخدام مشتقاتها مثل العولمة: (Globalization)، و Globalize) ، و(Globalizing) ترجع إلى عام ١٩٦٠ حينما إستخدمتها مجلة الإيكونوميست البريطانية عندما تحدثت عن زيادة إستيراد إيطاليا للسيارات . ثم إستخدمها قاموس ويبستر (Webster) في عام ١٩٦١ حيث قدم أول تعريف لمصطلح عولمة (Globalism) و(Globalization) .
وفي ١٩٦٢/١٠/٥ أشارت صحيفة إسبكتاتور (The Spectator) إلى أن مفهوم العولمة هلامي وغير مستقر (Staggering) [٣١]

وقدم البروفسير مالكولم ووترز تعريفاً للعولمة بأنها: "عملية إجتماعية تتلاشى فيها حدود الجغرافيا وتذوب فيها حواجز الثقافة وتزداد فيها عملية الإندماج بين الشعوب."[٣٢] هذا تعريف مبسط وشامل . ولكن للعولمة عدة أبعاد تتمظهر في جوانب كثيرة من الحياة المعاصرة. وبالتالي يمكن الحديث عن ظاهرة لها سماتها وخصائصها . هي ظاهرة ترتبط بعمليات إجتماعية أخرى يطلق عليها "ما بعد التصنيع" (Post- Industrialization) ؛ لأن التصنيع يمهد إلى إزالة الحواجز بين المجتمعات كما تتسم بالعقلانية وإنحسار التأثير العاطفي أو الشخصي (depersonalization) في العلاقات الاجتماعية ، وتزداد أهمية التخصص المعرفي

والفني وتطغى العقلانية على العمليات الطبيعية والإجتماعية . كذلك من سمات العولمة أنها تسبب زيادة كبيرة في قوة الطبقة الرأسمالية لأن العولمة تفتح أسواقاً جديدة لهذه الطبقة.

وبما أن العولمة مصدرها هذا الغرب الاستعماري والقوي فإن هذه الظاهرة تبدو ككائن خارق الإمكانات ، خارق القوى يتهيأ لإفتراس ما يقع بين يديه على المستوى العالمي من جماعات ودول وشعوب . "وتأتي الأمة العربية والإسلامية في مقدمة الفرائس التي تستشعر الخطر لأنها تتمع بمضمون ثقافي له دور فعال وأصيل على المستوى العالمي .. لذلك يكون فريسة نموذجية لهذا الكائن (العولمة). وهي نظام يهدف إلى أن يلغي كل (الأغيار) ويدمج كل التنوعات في صيغته الخاصة ويمتص ويستحوذ على كل المقدرات في الطبيعة وفي الإنسان لمصلحته الخاص."[٣٣]

٢. الهوية الإسلامية والعولمة:

إن الإسلام نفسه بوصفه دين سماوي يتسم بالعالمية ، وعالمية الإسلام تختلف عن الأممية الماركسية التي تقوم على تهميش الفرد وإضاعة حقوقه وذوبانه في إشتراكية وهمية لا تحقق الخير للمجتمع . وكذلك تختلف عالمية الإسلام عن العولمة (الغربية) التي تقوم على رأسمالية تكرس الفرق بين الطبقات وتزيد من فقر وظلم الطبقات الفقيرة في المجتمع وتزيد من افقار دول العالم غير الغربية . عالمية الإسلام تدعو للعدالة والإخاء والمساواة بين بني البشر : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " .[الحجرات : الآية ١٣].

إن الحديث عن التأصيل الإسلامي في ظل العولمة يستلزم إستصحابنا لمعطيات العولمة خاصة في مجال الإعلام والثقافة والفكر وما يرتبط بهذه المكونات من هجوم علماني متقن على الإسلام وعلى ثوابت الأمة العقيدية والقيمية وهويتها وما تستهدفه من إضعاف لحصانة الأمة و فاعليتها في مواجهة الغزو الخارجي.

إن العولمة تستخدم أسلحة فاعلة لإحداث هزة في الهوية الإسلامية وذلك من خلال أدواتها المختلفة وبخاصة الإعلام. فالإعلام هو مدخل أساس في استهداف هوية الأمة الإسلامية. لذلك ينبغي النظر لمخاطر العولمة من الزاوية الإعلامية الثقافية.

وبالتالي يواجه الإسلام عولمة تحمل تفضيلات ثقافية تميل إلى إستيعاب وتذويب الخصوصيات المحلية . وهذا يعني على الأمة الإسلامية أن تدافع عن نفسها في مجال حقوق الإنسان، الديمقراطية ووضع المرأة، كما تنطوي هذه الثقافة المتعولمة على علمنة الدولة والمجتمع ، وأن "العالم متعدد في تركيبه (Pluralistic) ويندفع على عجلة الاختيار الحر (Choice driven) وليس هناك ثقافة سائدة ."

الثقافة العولمية ليست نسقا مجتمعاتياً لإنتاج وإعادة إنتاج وتداول الفكر والمعرفة فحسب بل أيضاً نمط لتسريع دورة هذا النسق وتعميمه كجزء من عملية الاستهلاك . وعندما تمتطي هذه الثقافة صهوة الإعلام الدولي الجامح وتدخل في نسيج العنكبوتية تظهر هنا خطورة العولمة على المجتمع المسلم والهوية الإسلامية. وأدت هذه الهمجية الثقافية العولمية إلى إهتزاز المنظومة القيمية في مجتمعاتنا العربية الإسلامية فبدأت تضعف علاقاتنا الاجتماعية والروابط الأسرية وكذلك بدأت تضعف قيم التكافل الاجتماعي لأن ثقافة العولمة تستغرقنا وتغرقنا بتقنيات بل بمضامين تسحب منا عامل الزمن والفراغ والعبادة وصلة الرحم وتجعلنا ببريقها (الاستهلاكي) نسرف في كل شيء والاسراف والتبذير – في المادة والمال والزمن – نهى عنها الإسلام. لذلك نحتاج إلى جهد تأصيلي يركز على إعادة توجيه القيم لتتسق مع نظام القيم الإسلامية.[٣٤]

وهذا الوضع يفرض على المجتمع المسلم مسؤوليات تربوية في الأسرة والمدرسة والحياة الخاصة والعامة لتحصين أجيالنا ضد هذا الطوفان والتيار الثقافي المادي – العلماني – الغربي المتعولم الذي يتدفق بواسطة الإنترنت والتلفزيون والسينما والصحافة تحت ذريعة الحداثة.

خاتمــة:

إذن لحماية هويتنا الإسلامية من مهددات العولمة ينبغي التعامل مع العولمة بوعي. وأن نتجه نحو بناء تحصين ثقافي يتكامل مع عملية تأصيل إعلامي لأن الإعلام هو حامل الثقافة، والثقافة أهم مرتكزات الهوية. هذا الوعي مهم جداً في عصر العولمة الراهن إذ أن ثورة المعلومات والعولمة تستخدم الفضائيات والإنترنيت لقهر الثقافات الأخرى. فالقنوات الإتصالية ليست محايدة بل تحمل مضامين ورؤي ينبغي التعامل معها بحذر وبرؤية تنطلق من تصور إسلامي معاصر في سياق الصراع الحضاري الجديد.

لكن كل ما ورد لا يتعدى تشخيص للحالة. بمعنى أنه يجب أن نتجاوز "نظرية المؤامرة" لأننا عندما نستسلم لنظرية المؤامرة أو نردد تلك المقولات التي تختزل العملية في غزو فكري أو استلاب ثقافي فإننا نستديم حالة الهشاشة والضعف والقابلية للإختراق. هذا يستدعي أن نتجاوز ذلك إلى موقف أكثر وعياً وارادة دافعة بحيث ننطلق من مستوى الفكر والنظر إلى مرحلة الفعل والعمل. وذلك من خلال صياغة استراتيجية مضادة تقوم على تقوية نسيج المجتمع المسلم بتفعيل مؤسساته الإجتماعية والثقافية والتربوية والإعلامية وأن نضخ في عقلية كوادرها الوعي بمهددات ومخاطر المرحلة حتى تستطيع تلك المؤسسات أن تقوم بدورها

في مواجهة العولمة والتفاعل مع معطياتها بايجابية دون أن نكون عُرضة للإختراق أو التذويب في ثقافة العولمة.

وبصورة عامة يجب النظر لهذه المحاولات الغربية المتتالية عبر التاريخ للسيطرة على العالم الإسلامي (استشراق، حروب صليبية، استعمار، علمانية وعولمة) بأنها مترابطة رباط موضوعي. الخيط الناظم لها هو هدف واحد: تدمير الهوية الإسلامية والحضارة الإسلامية. إذن المطلوب الانتباه لهذه المؤامرات القديمة المتجددة بحسبانها تحديات متصلة يجب مواجهتها باستراتيجية موحدة ووعي كامل.

الهوامش

١. أحمد يوسف، الإسلام والغرب: تعاون لا مواجهة، مجلة قضايا دولية، العدد (٢٠٢) السنة الرابعة، جمادى الثانية ١٤١٤هـ/ ١٥ نوفمبر ١٩٩٣م، ص ٢٤.

٢. د. محمد فتح الله الزيادي، الاستشراق: أهدافه ووسائله، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠٠٢. كذلك أنظر: إدوارد سعيد، الاستشراق Orientalism: المعرفة – السطلة – الإنشاء، ط٢، (نقله إلى العربية كمال أبو ديب)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤. وأنظر كذلك: إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق (ترجمة د. محمد عناني) القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦. الطبعة باللغة الانجليزية: Edward Said, Orientalism: Western Conceptions of the Orient, 1995.

٣. رينان: مستشرق فرنسي عاش في الفترة (١٨١٢ – ١٨٩٢) بلبنان، وتضلع في العلوم الشرقية، ساهم بشكل فعال في الدراسات الأنثروبولوجية التي أدت إلى ظهور النظريات العرقية التي استفاد منها الاستعمار الغربي كثير. في: د. فتح الله الزيادي، المصدر السابق، ص ٣٨.

٤. فتح الله الزيادي، المصدر السابق، ص ٣٩.

٥. المرجع نفسه.

٦. مجلة الموقف الأدبي، عدد (٢٢)، ١٩٨١

٧. فتح الله الزيادي، المرجع السابق، ص ص ٤٣ – ٤٦.

٨. شمس الدين الكيلاني، حقبة الحروب الصليبية والوضع على طرفي المجابهة التاريخية، مجلة الاجتهاد، السنة السابعة، صيف العام ١٩٩٥، ص ١٥. أنظر كذلك: فرنان بروديل، البحر المتوسط: المجال والتاريخ (ترجمة يوسف شلبي)، دمشق: وزارة الثقافةن ١٩٩٥، ص ١٣١. كذلك أنظر: قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد (١٤٩) ١٩٩٠.

٩. الحملات الصليبية، أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

١٠. المصدر نفسه.

١١. المصدر نفسه.

١٢. المصدر نفسه.

١٣. للمزيد حول مفهوم الاستعمار وأهدافه الاقتصادية والثقافية والدينية والسياسية أنظر: الاستعمار في موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

١٤. المصدر نفسه.

١٥. المصدر نفسه.

١٦. المصدر نفسه.

١٧. المصدر نفسه.

١٨. حول مفهوم العلمانية أنظر باب "العلمانية" في ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

١٩. Encyclopedia America, Vol. 24, p. 521

٢٠. The New Encyclopedia Britanica, vol. X, p. 31. في: د. التجاني محمد الأمين، مفهوم العلمانيةن الخرطوم: مركز التنوير المعرفي،٢٠٠٧، ص ص ٣٠ – ٣١.
٢١. Kosmin, Barry A."Secularity and Secularism: Contemporary International Perspectives, (eds.), Barry A. Kosmin and Ariele Keysar, Hartford, C. T.: Institute for Study of Secularism in Society and Culture (ISSSC), 2007.
٢٢. ويكيبديا، المصدرالسابق
٢٣. ويكيبيديا، المصدر السابق.
٢٤. المصدر نفسه.
٢٥. المصدر نفسه.
٢٦. المصدر نفسه.
٢٧. Foreign Affairs, 72, Summer 1993.
٢٨. Newsweek, November 21, 1994.
٢٩. هانس – بيتر مارتين وهارالد شومان، ترجمة: د.عدنان عباس علي، فخ العولمة: الاعتداء علي الديمقراطية والرفاهية، الكويت: عالم المعرفة (٢٣٨)، ١٩٩٨، ص ٢٣.
٣٠. غسان العزي، جذور العولمة وإشكالياتها، مجلة منبر الحوار، بيروت، العدد ٣٧، شتاء ١٩٩٩، ص ٤٨.
٣١. عبد الحي يحي زلّوم، نذر العولمة: (هل بوسع العالم أن يقول 'لا' للرأسمالية المعلومالية) ، ط١ ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩ ص ١٠.
٣٢. Malcolm Waters, Globalization , Key Ideas, London and New York: Routledge, 1995, PP.1-2
٣٣. د. جلال أمين، '' المسلمون في مواجهة ثورة المعلومات'' في مجلة المجتمع، العدد ١٣٤٤، ١٩٩٩/٤/٦.
٣٤. د.مختار عثمان الصديق، '' الإعلام الإسلامي المعاصر''، في مجلة أفكار جديدة، الخرطوم: هيئة الأعمال الفكرية، العدد (٤)، مارس ١٩٩٩؛ كذلك أنظر: فهمي هويدي، مجلة المجلة، العدد ٩٥٩ ،١٩٩٨/٦/٢٨، ص ٣٢.